المحور الأول) الفكر الإجتماعي في بعض الحضارات القديمة.

1/الفكر الاجتماعي عند المصريين القدامى (الحضارة الفرعونية):

لقد عرف المصريين القدامى نظام المدينة بوصفها "وحدة سياسية" حيث كانت المدن تتمتع باستقلال ذاتي وأشبه بالمراكز الاجتماعية وتجارية ، ولقد زاول المصريين القدامى كثير من المهن والأعمال في قطاعات عديدة كالزراعة والتجارة والفنون والصناعة، وكان لهذه الأمور انعكاس واضح على تعزيز العلاقات والروابط الاجتماعية ، حيث خلقت قدرا كبيرا من الأفكار الاقتصادية والأخلاقية والسياسية التي تسير في ضوئها المعاملات الإنساني [1]

بحيث نجد كثير من الأثار والأدوات والبرديات التي سجلت وأوضحت اهتمامهم بشؤون الحكم والإدارة والأسرة، وكذا في بردياتهم كثير من التوجيهات والنصائح في مجال التعامل الأسري وواجبات الزوج والزوجة وطريقة تربية الأولاد.

بحيث نجد أن الكثير من الأثار التي تركها المصريون هي الطريق الذي أوضح لنا التعرف على كثير من الأفكار في الفكر الاجتماعي في مصر القديمة.

ومنه يمكننا أن نصل الى فكرة أساسية هامة أن التفكير الاجتماعي في مصر القديمة يتميز بخاصيتين:

ـــ الطابع العملي.

ـــ الطابع الديني.

أولا ـــ الطـــــابع العملي :

نجد ألبير ريفو يقول بأن المصريين قد عرفوا الفكر الصحيح والمنطق العلمي لأربعين عاما خلت قبل الميلاد أو أكثر من ذلك، إلا أن النشاط البارز قد اقتصر على المجال الفني والديني، ولم يرتق الى البحث النظري المنظم الذي عرفته المدارس الفلسفية فيما بعد

بحيث نجد كثير من التفكير والاهتمام بالنظام الأسري الأمثل والعلاقات الأسرية، وحتى التي لها علاقة بالقوانين والتشريعات فمثلا نجد أن القوانين والتشريعات المصرية القديمة ارتبطت بالحفاظ على البنية الاجتماعية الطبقية في المجتمع بحيث أصبحت هذه القوانين كنوع من الضبط الهدف الأساسي منه الإبقاء على النظام الطبقي، بحيث يعتبر المصريون من الرواد الأوائل في التقنين والتشريع وجمع القوانين، ومن بين ميزات هذه القوانين.

1ـ الردع الشديد ووصلت العقوبات الى حد النفي وجدع الانف لمن يثبت في حقه الذنب او التورط في الممنوعات.

2ـ كفلت التشريعات المصرية القديمة المساواة بين المصريين أمام القانون.

3ـ استهدفت استقرار المجتمع وتخليصه مما شابه من شوائب خلقية ورشوة وفساد وغير ذلك.

4 ـ حاولت القوانين استهداف إيجاد نسق نقي في الحياة الاجتماعية.

طور الفكر الاجتماعي المصري القديم النظام القانوني، وهو يشبه النظم القانونية الحديثة ففي الدولة القديمة (3188ـ 1800) ق.م كان نظام العقود المكتوبة مطبقا بدقة كما كان نظام

[1] ـ مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1979 ، ص 33 .

اليمين موجودا عندما يتعلق الأفراد بالالتزامات المستقبلية كنظام المرافعات والتقاضي والمحاكم، وكانت للجلسات محاضرها وعرفوا نظام المحاكم الخاصة وكذا نظام المعاهدات الدولية [2].

النظام الأسري في التفكير الاجتماعي المصري القديم:

أخذ موضوع الأسرة والتنشئة الاجتماعية والحياة الأسرية بشكل عام اهتماما كبيرا وواسعا، واحتل مكانة كبيرة في حكم الحكماء المصريين وكذا في الأدب المصري فكانوا يمجدون ويقدسون الأسرة والحث على الزواج لأنهم يعتبرون الأسرة دعامة قوية وهامة للحياة الاجتماعية وهذا من خلال الكثير من النصائح والحكم بشأن ما يجب أن تكون عليه العلاقات الأسرية والواجبات المتبادلة بين الزوجين من ناحية والمسؤوليات المتبادلة التي تربط أفراد الأسرة جميعا من ناحية أخرى وكذلك رغبوا في عملية الإنجاب وتناولوا كذلك طرق التربية والتنشئة [3].

والنظام الاقتصادي والنشاط الزراعي كان واضحا في النظام الأسري حيث أن النظام المصري تشكل الى حد بعيد بأثار ارتبطت بالزراعة، فاقتضاء الزراعة لمزيد من اليد العاملة كمساعدين وأجراء وغيرهم جعل أفر اد الأسر تشارك في العمل بحيث أعطى مكانة كبيرة للزوجة وأصبحت الأسرة موضع اعتزاز كبير وانعكس ذلك على الرجال الأغنياء من خلال زواجهم بأكثر امرأة واحدة، حيث كانت غلبة الطابع العملي على الفكر الاجتماعي المصري القديم، وارتباطه بالواقع الاجتماعي للمجتمع سببا في جعل الفكر المصري القديم ينصرف عن محاولة التجديد ووضع أسس ذات صبغة علمية خالصة على ما فعل اليونانيين.

ثانيا ـــ الطابع الديني:

كان الطابع الديني أهم مصادر استقرار النظام الاجتماعي في المجتمع المصري القديم خاصة وأن هذا النظام قد ارتبط بالدين والأخلاق والقيم في ذات الوقت، واكتسب النظام بذلك طابع القداسة [4].

2/ الفكر الاجتماعي في بلاد ما بين النهرين :

يذهب بعض الباحثين إلى أن ساكني جنوب العراق القدامى والذين يطلق عليهم عادة اسم السومريين قد عاشوا في ذلك المكان قبل عام 3000 قبل الميلاد، ويعتبر جنوب العراق إقليم ذا ارض منبسطة وبه تساقط قليل للأمطار واعتمد سكانه بشكل كبير على مياه نهري الدجلة والفرات، واستمر هذا الاستقرار في هذه البقعة في عهد البابليين وهي مجموعة قبائل متنامية استطاعت الاستيلاء على قرية بابل وأنهت دولة السومريين وبدأت الدولة البابلية.

ولقد كان لنظام الري وحياة الاستقرار أثرا كبيرا في اتساع رقعة القرى التي أصبحت مع مرور الوقت بلدانا وتحول بعضها الى أول مدينة في تاريخ الانسان ولقد بدأ استخدام النحاس والأسلحة المصنوعة من المعادن لأول مرة في هذه البقعة [5].

---

[2] ـ صلاح الدين شروخ مرجع سابق ص 39

[3] ـ عبد الله عبذ الغني غانم ، مرجع سابق ، ص 15

[4] ـ نفس المرجع السابق ، ص18

[5] ـ أرثر جريجور ، الانسان عبر التاريخ ، ترجمة نور الدين الزراري ، القاهرة 1978 ، ص 209.

وارتبط بنظام الاستقرار حياة اجتماعية مستقرة ومنظمة عاشها سكان هذه البقعة وقد قامت هذه الحياة أساسا على النظام الطبقي الذي انقسم إلى:

ـ طبقة الكهنة والمحاربين وهذه طبقة الأحرار.

ـ طبقة الأرقاء من العبيد الأسرى.

ولقد انتظمت الحياة الاجتماعية والبناء الطبقي لسكان هذه المنطقة من السومريين ثم البابليين حول الدين.

فالثروة المخزونة في المدن الكبرى لم تكن مملوكة للرجال وإنما يملكها الألهة، والكهنة هم الذين يديرون ويعملون كإداريين ومديرين لهذه الثروة لحساب الألهة أصحابها، لذلك فان المحاصيل الزراعية كانت تجمع في مناطق مركزية تحت يدي الملك وكان في الأغلب هوز كبير الكهنة، وكان الكهنة مناطا أيضا بهم جمع الضرائب، وكان رئيس الكهنة يحكم كممثل للإله وكان الكهنة هم الحكام الفعليين للمجتمع.

وقد اختلطت الحياة الدينية اختلاطا تاما وامتزجت بتبعية جوانب الحياة الاجتماعية وشكلت الأساس في حركة هذه الجوانب، فقد كان الكهنة يؤجرون الأرض للمزارعين باسم الاله، وباسمه أيضا كانوا يوزعون البذور ويجبون الضرائب على شكل حصة من المحاصيل ويسدون النصح والمشورة الفنية للمزارعين، بل وكان الكهنة أيضا هم الذين يمارسون أعمالا أخرى عديدة مثل حياكة الملابس وتخمير الجعة و تبادل التجارة مع المدن الأخرى بحيث كان اقتصاد كثير من المدن الواقعة على طول نهر دحلة والفرات تعتمد على الكهنة.

أما الطبقة الأخرى وهي طبقة الجند فقد اقتضى الاستقرار والمحاصيل الفائضة وما كان ينعم به هذه المدن، اقتضى ذلك كله وجود قوة من الجنود العاملين كل الوقت للحماية والدفاع عن ثروات هذه المجتمعات من الغارات الخارجية بالذات، وقد زود هؤلاء الجند بأفضل الأسلحة وأحدثها في ذلك الوقت.

ويلي هذه الطبقة طبقة الارقاء، الذين يتألفون من الاسرى والكثير من المواطنين الذين لم يكن لديهم حرية اختيار نوع عملهم، وقضى عليهم بأن يقوموا بأعمال كثيرة في الحقول والمناجم، وقد كانت ثروة الرجل تقاس بما يملك من عبيد بجانب الأرض والماشية.

وقد وضعت الدولة البابلية الكثير من التحريمات التي تحمى وتبقي على هذا البناء الاجتماعي الطبقي فحرمت على أبناء الفئة الأخيرة ـ ان يلبسوا النعال وأجبرتهم أن يمشوا حفاة عراة الروؤس في حين أن الطبقات الأخرى يحق لأفرادها ذلك.

فضلا عن انتشار عادات لها دلالة اجتماعية ومن ذلك تعدد الزوجات الذي كان منتشرا.

وأشهر ما وصل الينا من البابليين هو مجموعة القوانين المشهورة باسم (شرائح حمورابي)، أن حمورابي ملك بابل جمع القوانين والأعراف القديمة في مكان واحد وكتبها كلها بالخط المسماري على لوح كبير من الحجر ونصبه في الهيكل.

ولقد كان شعب ما بين النهرين يكتب على الاجر المحروق ـ مادة غير قابلة للكسر ـوبجانب الكتابة فقد عرفوا العربات ذات العجلات والحيوانات والسفن الشرعية، والأدوات المعدنية، وهم

اول من قسم الزمن الى أسبوع يضم سبعة أيام كما قسموا اليوم 24 ساعة وقسموا الدائرة الى 360 درجة وبرعوا بالتنجيم ودراسة دورة الشمس والنجوم.[6]

3/ الفكر الاجتماعي في الحضارة الصينية:

يجمع مؤرخون على أن الفكر الصيني والفلسفة الاجتماعية عندهم تمثل أقدم تفكير منظم عن المجتمع قبل عصر سقراط[7].

ويعتبر الفكر الاجتماعي من بين الاسهامات العظيمة التي قدمها الصينيون للبشرية جمعاء، ولقد تميز الفكر في الصين بخاصيتين بالمقارنة بالفكر الاجتماعي في المجتمعات القديمة؟

1ـ فقد اتسم بأنه كان فكرا منظما من ناحية، وبأنه كان فكرا عمليا من ناحية أخرى

2ـ إنه فكر ديني.

ولقد اكتسب الفكر الصيني هذه الخصائص من أنه كان استجابة لظروف محددة مرت بالمجتمع الصيني، فلقد نشأة حضارة زاهرة قديمة في الصين في وقت مبكر من عصور التاريخ حيث عرف فيها الصينيون الزراعة المستقرة، وصناعة الأواني الحجرية والفخارية، كما ابتكر الصينيون نوعا خاصا من الحضارة التي عبروا عنها بالصورة وذلك من منذ الف عام قبل الميلاد، إلا أن هذه الحضارة قد عرفت أزمات خطيرة من خلال عدة عوامل أبرزها [8]:

الغزو الخارجي: بحيث عرف المجتمع الصيني غزوات خارجية متتالية من جانب الترك والتتار والمغول وغيرهم من القبائل، حيث كانت هذه الغزوات عاملا سلبيا في تقدم المجتمع الصيني، بحيث أضعفت هذه الغزوات من قوة المجتمع الصيني، وسلبه الكثير من إمكانياته ودمرت موارده.

2ـ الظروف الداخلية: حيث عرف المجتمع الصيني الكثير من عوامل التفكك والتناقض الاجتماعي، بحيث تعرض المزارع الصيني لكثير من الضغوط، وكان يعاني من الفقر والبؤس وذلك من جانب الأمراء الذين كانوا ينعمون بكل الامتيازات والخيرات والثروات على حساب الفقراء وسادت كثير من المظالم في المجتمع الصيني كبعض العادات السيئة كخطف الفتيات وإرغامهن على الزواج وغيرها من العادات وكنتيجة حتمية لهذه العوامل ظهر المفكرون الصينيون الذين قادوا خملات فكرية تتصدى لهذه المفاسد والمآسي ومن هنا كانت الصبغة العملية للفكر الصيني ومن خلالها تشكل التفكير الاجتماعي الصيني على أساس فلسفي تشكله في المقام الأول مبادئ الكونفوشيوسية والتاوية والكونفوشيوسية الجديدة، إضافة الى مذاهب أخرى وقد قامت هده الفلسفات بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته، وكانت مصدر إلهام عبر ما يزيد على خمسة وعشرين قرنا من الزمان، وكانت الفلسفة الصينية التي أكدت على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها مرتبطة أوثق الارتباط بالسياسة والأخلاق واضطلعت بمعظم وظائف الدين ولم يكن الهدف الرئيسي للفلسفة والتفكير الاجتماعي الصيني في المقام الأول فهم العالم وإنما جعل الناس عظماء، وعلى الرغم من أن الفلسفات الصينية المختلفة يشكل هذا

---

[6] عبد الله عبد الغني ، مرجع سابق ، ص 22

[7] ـ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، 2009 ، ص 5

[8] ـ عبد الله عبد الغني غانم ، تاريخ التفكير الاجتماعي ، الجزء الأول ، المكتب الجامعي الحديث ، 1988 ، ص 29.

الهدف قاسما مشتركا بينها فإنها تختلف إلى حد كبير نتيجة الإستبصارات المختلفة عن مصدر العظمة الإنسانية وقد أدى ذلك إلى التأكيد على الأخلاق والحياة الروحية ، فالروح وليس الجسد هي الجانب الأهم في الوجود البشري وهذه الحياة لابد من تغذيتها ورعايتها لكي تتطور بحسب قدراتها والهدف هو الوصول إلى مستوى أسمى للوجود الإنساني.

نماذج من فكر حضارة الصين القديمة :

ـــ الكونفوشيوسية : وهي كلمة مستمدة من المصلح والفيلسوف والمفكر كونفوشيوس.

ولد كونفوشيوس عام (551) ق.م في مملكة (لو lu) والتي تعرف الأن بولاية شان تونج فلقد درس كونفوشيوس كثيرا الأدب الصيني وألم بكثير من الثقافات والمعارف الماما كبيرا، وعرف بفصاحة لسانه وكان كونفوشيوس رزينا منذ نعومة أظافره، مثالا لرفعة النفس وسمو الأخلاق، إذ كان يستنكر دسائس الساسة ومؤمرات رجال الدولة، وتقلد عدة وظائف هامة وهو في العشرين من عمره مثل القضاء، ووكيل وزارة الأشغال العامة وانتهى به المطاف إلى أن أصبح وزيرا للعدل، وكذلك كان مصلحا دينيا وحكيما في كثير من الأمور.

مؤلفاته :

وقد ألف كونفوشيوس خمسة كتب هي كتاب الأغاني وكتاب التاريخ وكتاب التغيرات وكتاب الربيع والخريف وكتاب الطقوس، وهذه الكتب الخمسة ذات قيمة كبيرة للاجتماع الوصفي، وعموما فقد أجمع المؤرخون على أن الفكر الصيني هو أقدم تفكير منظم على أن الفكر الصيني هو أقدم تفكير منظم عن المجتمع.

وينظر كونفوشيوس الى الحاكم أنه مفوض من الله لتسيير الأرض ، وطاعته واجبة طالما احترم هو ذاك التفويض الإلهي وإلا فمن واجب الأفراد أن يثوروا ضده وقد صاغ كونفوشيوس في كتبه الخمسة قواعد الأخلاق وهي ذات قيمة كبيرة جدا بالنسبة لعلم الاجتماع الوصفي الصيني.

ومن بين الأفكار الهامة لكونفوشيوس أنه كان يؤمن بوجود جاذبية طبيعية بين الناس (الإنسان إجتماعي بطبعه)، على نحو ما نرى من علاقات أفراد الأسرة الواحدة، كما أشار كونفوشيوس الى أن العلاقات بين الناس (العلاقات الاجتماعية) لا تقوم على أسس وضعه، بل تستمد من اله السماء وأن النظام الاجتماعي الأمثل لابد أن يقوم على أسس دينية أصلا، ويرى كونفوشيوس كذلك أن الهدف الأسمى هو إصلاح الأخلاق الاجتماعية، بل ويعتبر مطلبه الأول على الاطلاق، بحيث يعتقد كونفوشيوس أن الأخلاق هي السبيل الوحيد للقضاء على الفوضى والاضطرابات في المجتمع، وذلك من خلال عدة أوجه منها ضرورة توافق الفرد في سلوكه مع حياة المجتمع الذي يعيش فيه وأن ينضبط ويلتزم بما أقره المجتمع من أخلاق وقيم والذي يعتبرها هي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية بالمجتمع.

ويتناول كذلك الوحدات والنظم الاجتماعية المرتبطة، كالأسرة ويعتبرها وحدة للتنشئة الاجتماعية ومركز بث الاخلاق ، ويعطيها أهمية قصوى في المجتمع ويؤكد على أن صلاح الأسرة هو صلاح المجتمع كله، ومنه يجب أن تكون العلاقات بين أفراد الأسرة مطابقة للمبادئ الأخلاقية السائدة في المجتمع الكبير، ومن خلال التنشئة الاجتماعية السوية للأفراد داخل الاسر يجعل الفرد يتواءم ويتكيف مع المجتمع ككل، ويتعود الأفراد بأسرهم على أخلاق المجتمع ويربوا عليها، وهذا يقلل كثيرا من الاضطرابات بالمجتمع ويلغي الحاجة الى القضاء والحكام.

ويركز كونفوشيوس كثيرا على مرحلة التعليم التي تمثل المرحلة التالية بعد عملية التنشئة الاجتماعية التي تتم في الأسرة ، فأعطى النظام التربوي اهتماما كبيرا مركزا فيه على التنشئة على الأخلاق الاجتماعية وعلاقة التعليم بالمساواة بين الأفراد، ويرى كونفوشيوس أن التعليم هو أحد الوسائل الفعالة في نقل العادات والنظم الاجتماعية وتنشئة الأفراد على ما استقر بالمجتمع من هذه الأخلاق وبالتالي فهو يسهم في إيجاد التوافق الاجتماعي ، ولهذا الدور الهام للتعليم ومسايرة للصيغة العملية في فكر كونفوشيوس فقد نادى بإنشاء مدرسة أولية في كل قرية وجامعة في كل مقاطعة [9]

ويرى كونفوشيوس أن تحقيق المساواة بين الناس لا يتحقق الا اذا أصبح كل شخص على معرفة بحقوقه وواجباته، وهذا من خلال ما يؤدي ما عليه من واجبات ويتمسك بماله من حقوق ، وقد رأى كونفوشيوس أن التعليم هو السبيل الى ذلك ، فهو يؤكد على أن التعليم هو السبيل الوحيد لضرب الطبقية ومنه تحقيق المساواة بين الناس.

وفي الأخير يرى كونفوشيوس أنه لا مجال لتحقيق كل هذه الأمور إلا باتحاد شعوب العالم جميعا في جمهورية عالمية واحدة يحكمها الفلاسفة والحكماء لأنهم وحدهم القادرون على تحقيق العدالة والمساواة.

الطاوية:

تعتبر الطاوية مذهب وطريقة تفكير قائمة على وجوب طلب الطاو أي الوسط بين المكونين الاثنين للعالم وهما ألين (الأنثى) واليانج (الذكر) وترى الطاوية بأن الطبيعة البشرية ليست حسنة، وليست كذلك بالسيئة أي أن الاستقامة والأمور الحسنة تكتسب بتكرار السلوك الحسن، وكذلك هي قائمة على الدعوة للتأمل وفحص النفس عكس الكونفوشيوسية القائمة على العمل وحب الاجتهاد، وصلب فكرها الاجتماعي بأن الكون في حال تغير وتعديل مستمر بين داخل مجال القوة التي كونها الين واليانج ، ولكن دونما صراع بينهما لأنهما متوازيان ومتعادلان كقطبي مغناطيس واحد وهما الين واليانج وبالنسبة للطاوية فإن الفضيلة هي سلوك الطريق الوسط [10].

4/ التفكير الاجتماعي عند اليونانيين:

مما لا شك فيه أن الفكر اليوناني قد التقى واحتك بالفكر الشرقي القديم وخاصة الفكر البابلي الأشوري والفكر الفارسي والفكر الفرعوني، فالاتصال الحضاري والاحتكاك الثقافي له دوره في توجيه الفكر الاجتماعي نحو الموضوعية، فقد اتصلت الحضارة اليونانية بالحضارات الأخرى نتيجة لهجرة بعض القبائل من الشعوب المجاورة ونتيجة الحروب اليونانية وأصحاب الحضارات الشرقية وبخاصة البابلية والأشورية والفارسية، فضلا عن حركة التبادل التجاري التي راجت في تلك المرحلة خاصة وان اليونانيين كانوا يشتغلون بالتجارة بين الشعوب المختلفة، فضلا عن زيارة بعض حكماء اليونان وفلاسفتها لمصر القديمة وزيارتهم لمعابدها والتقائهم مع

---

[9] - عبد الله عبد الغني غانم ، مرجع سابق ص 34

[10] - صلاح الذين شروخ ، مدخل في علم الاجتماع ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، 2005، ص 29

الكهنة الذين كانوا يقومون بوظيفة التعليم، فقد زار هيرودت وغيره مصر ونقلوا عنها كثيرا من المعارف، وهذا الاتصال والاحتكاك أدى الى انتقال قيم وعادات جديدة على المجتمع اليوناني [11].

والفكر الاجتماعي اليوناني يمكن القول بأنه من أنفس المراحل الإنسانية من حيث العطاء والابتكار وهذا يظهر جليا في كل ما قدمته للعلوم، حيث لا يمكن الكلام عن أي شكل من أشكال المعرفة دون الوقوف عند الحضارة اليونانية وما قدمته للإنسانية عامة، ونظرا لشساعة الفكر والفلسفة اليونانية وتعدد مفكريها وفلاسفتها ومدراسها ومذاهبها سنتطرق لأشهر فيلسوفين هما أفلاطون وأرسطو على التوالي.

وقبل التطرق اليهما يجب أن نشير الى أمر هام يقوم على أساسه الفكر الاجتماعي اليوناني ألا وهو الحرية التي تنتج الابداع والأفكار الجديدة، وبخاصة الفردية منها نظرا لقيام حياتهم السياسية على النظام المحلي الإقليمي، وافتقادهم غالبا الحكومة المركزية المسيطرة على شعوب عديدة، فساعد ازدهار تلك الحرية على ازدهار الدراسات الفلسفية التي تضمنت الدراسات الاجتماعية، وذلك إضافة الى عدم وجود دين رسمي للدولة يحول دون نشأة الفلسفة النقدية [12].

ضف الى ذلك سعي الفكر الاجتماعي اليوناني الى بحث الظاهرة الاجتماعية المستقرة، بدل البحث في التطور وربما كان ذلك بسبب الاعتماد على الزراعة الروتينية المكررة، وهو فكر اعتمد الاستدلال العقلي عموما، مع استثناء أرسطو الذي عني في بعض دراساته بالمنهج الاستقرائي، وكانت الغالبية على احتقار ذلك المنهج، اعتمادا على الحرية التي يبيحها المنهج الاستدلالي.

أولا : أفلاطـــون (427ـ 347) ق.م

ينتمي أفلاطون إلى أسرة إرستقراطية أثينية وقد عاش في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أي في الفترة (427 ـ 347) ق.م وقد تتلمذ على سقراط، وقد عاش أفلاطون في فترة عصيبة بالنسبة لبلده بشكل عام، وساد في اليونان في تلك الفترة اضطرابات كبيرة كما عرفت اليونان فترات من حكم ديكتاتوري الى جانب أزمة السفسطة التي أثرت تأثيرا كبيرا وسيئا على المجتمع، كل هذا جعل أفلاطون ينسحب من الحياة العامة وسافر الى شمال افريقيا وإيطاليا وصقلية، إلا أنه ما لبث أن عاد الى أثينا وأسس الأكاديمية وعمل في التدريس بها، ويتمثل التفكير الاجتماعي عند أفلاطون في محاولته دراسة الحالة في المجتمعات اليونانية والبحث عن الأسباب التي تؤدي الى نشأة نظام اجتماعي معين [13].

وأفلاطون كان لا يميز بين مفهوم الدولة من ناحية والمدينة من ناحية أخرى مثله مثل بقية المفكرين اليونانيين والذين تأثروا بالأوضاع التي كانت سائدة آنذاك، حيث سادت دولة المدينة حيث تعتبر الوحدة السياسية الكبرى المعروفة في ذلك الوقت، ونجد في كتاباته اختلاط بين

---

[11] ـ عبد الهادي الجوهري ، أصول علم الاجتماع ، دار الكتب ، 1999 ، ص09

[12] ـ صلاح الدين شروخ ، مرجع سابق ص 39

[13] ـ حسن شحاتة سعفان ، تاريخ التفكير الاجتماعي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 ص 31 .

مفهوم المدينة والمجتمع حيث يرى بأن المدينة هي المجتمع ، ويركز بشكل واضح على الحياة الاجتماعية في المجتمع .

ولقد أثرت الأوضاع السيئة التي عاشها المجتمع اليوناني في توجهات افلاطون بشكل كبير من خلال اتجاهه الى اليوتوبية حيث دفعته هذه الظروف الى التفكير في أفضل الظروف والنظم التي تتكفل بإيجاد نمط من الحياة تجلة من كل هذه المشاكل ومن هنا كانت جمهورية افلاطون التي أراد من خلالها رسم نموذجا لما يجب أن تكون عليه الدولة ليتحقق من خلالها الخير للأفراد والمجتمع.

ومن أشهر ما كتب أفلاطون في القضايا الاجتماعية نجد:

ـ الجمهورية.

ـ السياسي.

ـ القوانين.

وفي كتابه الشهير الجمهورية يحاول أفلاطون أن يضع تخطيطا مثاليا لمجتمع الجمهورية بحيث يقدم لنا تصورا مثاليا لمجتمع خيالي مثالي خالي من الشرور والأثام التي توجد بالمجتمعات الواقعية.

وركز أفلاطون بشكل واضح على البناء الاجتماعي في تصوره لمدينته الفاضلة من خلال الاعتماد على بنية طبقية تعمل على اشباع حاجات مجتمع المدينة وتحقيق ذاتية كل طبقة من خلال ماهة متاح للأفراد.

وقد ربط بين البنية الطبقية والتخصص وتقسيم العمل في مجتمع الجمهورية، وهذا من خلال تأكيده على أن الحاجات تتحقق في المدينة المثالية من خلال تقسيم العمل وتخصص يرتبط اجتماعيا بكل طبقة في مجتمع الجمهورية، ويقوم هذا البناء الطبقي على تصنيف مجموعة من الخصائص تتميز بها الطبقات الاجتماعية بعضها البعض، ومن هنا فقد رأى أفلاطون أن المجتمع يضم ثلاثا من الطبقات الاجتماعية هي:

طبقة الحكماء : ونعنبر من أرقى الطبقات وأفرادها فضلاء.

طبقة الجند : ودور هذه الطبقة الدفاع وحماية المجتمع ومؤسساتها من العدو الخارجي ويتميز أفرادها بامتلاك نفس مندفعة متدفقة بالحماس.

طبقة العمال: تتكون هذه الطبقة من بقية أفراد الذين لا ينتمون الى الطبقتين السابقتين وتحتل هذه الطبقة المكانة الدنيا بين طبقات المجتمع .

طبقة العبيد والرق : وهذه الطبقة لا يكترث بها افلاطون كثير لأنه في تصوره يعترف الا بالإنسان الحر.

نشأة المجتمع عند أفلاطون:

يؤكد أفلاطون على أن الحاجة الاقتصادية أي حاجة الانسان الاقتصادية لأخيه الانسان هي الاساس الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية، فكان ينظر نظرة نفعية الى ضرورة الاجتماع والحياة الاجتماعية [14].

[14] ـ المرجع السابق ، ص46 .

ومنه نستنتج ان افلاطون يعطي تفسيرا اقتصاديا لنشأة الحياة الاجتماعية من خلال ما ذكرناه سابقا من عوامل كتقسيم العمل والتخصص لأنه يرى ان كل فرد لديه مجموعة من الاستعدادات الخاصة بكل نوع من العمل ويجب في نظره ان تحصر قوى الفرد في موضوع واحد ولا يمكن توريعها على مجموعة من الاعمال.

بحيث تكون الأشياء أوفر وأجود نوعا وأسهل إنتاجا إذا التزم العامل بما يميل اليه طبعه من الاعمال وتتمته في وقته الخاص.

أنواع المدن:

قسم افلاطون المدن الى عدة أنواع على أساس فئة الحكم.

المدينة الكاملة: هي تلك التي يكون الحكم فيها للعقل وبالتالي للخير وتتوافر في هذه المدينة في ظل هذا الحكم صفات الحكمة والعفاف والشجاعة والعدالة.

المدن غير الكاملة: وهي التي ينقلب فيها الترتيب الطبيعي ولا يصبح للعقل والمعرفة أي مكان وتحل محله الطمع والبخل.

القوانين:

أعطى أفلاطون قيمة وأهمية كبيرة للقوانين وأكد على أهميتها في الحياة البشرية وليس أدل على ذلك من أنه خصص مؤلفا أسماه القوانين، وأنه بدون قوانين سيتحول الناس الى طغاة يعتدي القوي على الضعيف، ومنه فهو يرى أن أية دولة لا تقوم على العدل والقوانين مهددة بالانهيار وأن كل الفضائل هي فروع العدالة، وتناول في هذا السياق المرأة وأقر بضعفها عن الرجل وأن القوانين هي التي تحميها من ظلم الرجال؛

وتناول كذلك التطور الاجتماعي وتحدث عن طبيعة التطور الاجتماعي والزمن الذي يستغرقه ليبلغ مداه وهذا من خلا محاولة فهمه للمجتمع وتحليله لظواهره فكان ينظر الى المجتمع على انه كل تترابط اجزاءه لتكون كلا متساند [15].

السكان:

تناول افلاطون بعض النقاط الخاصة بالسكان من خلال جمهوريته ومجتمعه المثالي فانطلاقا من المنطق المثالي الذي يبحث عن مجتمع متكامل حاول افلاطون ان يربط بين حاجات المجتمع وموارده من ناحية، وعدد السكان من ناحية أخرى بحيث حدد عددا معينا من السكان لجمهوريته عددا لا يتخطاه ليتلاءم مع حاجات السكان مع موارده وقدرات المجتمع.

ثانيا : أرسطو (384 ــ 322) ق.م

يعتبر ارسطو تلميذ افلاطون وفي نفس الوقت معارضه، ويعتبر من اشهر الفلاسفة عبر التاريخ وأكثرهم تأثيرا على الأجيال المتعاقبة، وأرسطو كان يبني كتاباته عى ما أجراه من ملاحظات، وكان استقرائيا وعندما يقارن "بولوك-pollock" بين المفكرين افلاطون وأرسطو يشير الى اننا لم نعد نتأثر بسحر أسلوب افلاطون وعظمة خياله وافلاطون كمن يجلس في بالون يطير به في الهواء ويأخذ فكرة عن بعض الأشياء على سطح الأرض ويشق الطريق من خلال الضباب، في

[15] ـ المرجع السابق ، ص 50

حين ارسطو يعمل على سطح الأرض ويشق الطريق بنفسه والانسان يعجب بعقله في تناول الموضوع.

ويعتبر ارسطو رائد نظرية التطور وهذا من خلال دراسته لأصل الدولة والمجتمع قدم لنا نظرية ولكن عندما قدم لنا كتابه السياسة لم يستهله بموضوعات مجردة ثم حيث تناول مباشرة مناقشة تحليله لأصل الدولة ومنفعتها وأشار الى انه من اجل استمرار العنصر البشري يجب ان يتحد الجنسين لأنه الأساس في استمرار الدولة في الوجود ثم يأتي بعد ذلك العلاقة الضرورية بين السيد والعبد وبالتالي هناك علاقتان أساسيتان الأولى هي علاقة الزوجين الزوج بزوجته والثانية هي القائمة على الطبيعة لتوفير الحاجات اليومية للانسان [16].

وتصور أرسطو أن الاسرة القائمة على رجل واحد ومن امرأة واحدة هي الأسرة الأمثل لبقاء المجتمع وتطوره، وكان ارسطو من اشد المؤمنين بالحق الطبيعي للعبودية، فالأشخاص الموهوبون بالمعرفة والفراسة جعلتهم الطبيعة حكاما وهؤلاء الذين لا يملكون سوى القوة الجسدية مع قليل من التفكير عليهم القيام بالخدمات، وليس هذا مجرد نوع من التأمل أو التفكير بل كان مقتنعا اقتناعا تاما بالبيانات الأمبريقية المتوافرة عن الصدق العملي لهذه الفكرة.

ويعتبر أرسطو الأسرة أول ارتباط بين الناس، ويلي ذلك القرية التي تنشأ هن اتحاد مجموعة من الأسر، والقرية أكثر كمالا من الأسرة لأنها لا تكتفي بتوفير الحاجات اليومية للإنسان ، والقرية في نظر ارسطو في صورتها الطبيعية تجمع تكويني خالص وهي مستمدة من الأسرة [17].

والدولة هي الشكل الثالث من المجتمع وهي أسمى هذه الاشكال وتعتبر اتحاد مجموعة من القرى تحقق الاكتفاء الذاتي لنفسها، واي دولة تستمر في الوجود هذا راجع لكونها وفرت الظروف المناسبة للتطور الكامل للطبيعة الاجتماعية للإنسان والسبب الحقيقي في كل هذا عند ارسطو هو ان الانسان كائن اجتماعي بالطبيعة ومنه فالدولة ليست خلقا مصطنعا بل نشأت بصورة طبيعية عن حاجات وميوله الطبيعية، والحيوانات كلها كائنات طبيعية ولكن الانسان كائن اجتماعي بسبب قوة النطق أو الكلام، ويرى ارسطو في نفس الوقت أن أي شخص قادر ان يعيش في عزلة تامة عن المجتمع أو يريد تحقيق ذلك هو شخص شاذ غير طبيعي، ويعتبر ارسطو الدولة بمثابة التنظيم السياسي للمجتمع وميز بين المفهومين ويبدو انه يعتقد في وجود مرحلة سابقة على ظهور الدولة وأن الدولة ضرورية لكي يمكن التغلب على الشروط الطبيعية للإنسان، ولكن اذا أخذنا كتاباته ككل يبدو أنه لا يعتقد في أن الدولة ثمرة النمو العضوي.

وفي حديثه عن السياسة يشير ارسطو في عبارة واضحة وصريحة الى النظرية العضوية للمجتمع، وهي نظرية شاعت في التاريخ وصاغها صياغة دقيقة عدد من العلماء خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ومن اشهرهم سنسر spenser ، وشفل schaffle، وورمز worms ، ولكن ارسطو لم يعقد المماثلة بين المجتمع والكائن العضوي ومع ذلك فمن الواضح أنه فهم المبدأ فهما كاملا ويتكون المجتمع من عدة نظم، نظام الاستمرار في الوجود ويتمثل في الصناع

---

[16] ـ عبد الهادي الجوهري ، أصول علم الاجتماع ، دار الكتب ، القاهرة ، 1999 ص 16

[17] نفس المرجع ، ص 17

والرعاة والعمال ونظم التوزيع ويتمثل في التجار ونظام الإدارة والحكم ويتمثل في المحاربين والمشرعين والحكام والقضاة .[18]

وفي كلامه عن الاخلاقيات النيكومية وجد ارسطو الأساس الذاتي للدولة والمجتمع، ويتمثل هذا في الأساس في الصداقة وقد نشأت هذه الفكرة عن فكرة أخرى كان قد أشار اليها في مستهل كتابه وهي أن الانسان كائن اجتماعي بطبعه.

وبسبب ميل الانسان للمعاشرة وهو ميل كامن يريد أن يكون له أصدقاء ولا يشعر بالسعادة الا مع أصدقائه، فالمجتمع أو الرابطة هي الحافز للصداقة، والصداقة هي الصورة الملموسة للطبيعة الاجتماعية للإنسان.

وأعطى ارسطو بناءا للدولة المثالية فيعتبر أن الدولة يجب أن تكون دولة مدنية صغيرة حيث ينبغي أن يعرف المواطنون كل ومنهم الأخر، ورغم أنه هاجم الشيوعية الا أننا نجد في كثير من أفكاره اثار لها ، مثل الوجبات المشتركة وغيرها.

نظريات أرسطو :

يعتبر ارسطو من اعظم المفكرين تأثيرا في الفكر الاجتماعي بسبب عمق فهمه للعمليات الاجتماعية وتأثيره القوي في الفكر الاجتماعي في العصور الوسطى، فقد أدخل ارسطو المنهج الامبريقي المطرد في دراسة الظواهر الاجتماعية وتأكيده المباشر والقاطع بأن الانسان كائن اجتماعي بطبعه، وأوضح ارسطو تفسيرا للتطور الاجتماعي على أساس المنفعة وهو توسيع للطبيعة الاجتماعية ومجال الرغبة والحاجة للمجتمع ، ويرى أن الاستقرار الاجتماعي هو الغاية التي يجب أن تسعى اليها نظم المجتمع وأن المجتمع سابق على الفرد من ناحية، والاساس الذاتي للمجتمع عند ارسطو كامن في الصداقة.

وأخيرا نذكر أهم المبادئ التي انطوى عليها تفكير أرسطو:

ـ الدولة هي الاطار السياسي للمدينة وهي تنظيم حياة المواطنين تبعا للقانون.

ـ جوهر القانون بالنسبة لأرسطو العدالة التي تتحقق الا من خلال تطبيق القانون الأخلاقي الذي يرتكز حول الفضيلة والمساواة الاجتماعية.

ـ التأكيد على دينامية المجتمع واعتبار التغير شرطا أساسيا لحياة المجتمعات الإنسانية فهو يرفض فكرة الثبات المطلق ويأخذ بفكرة النسبية الزمانية والمكانية فليس هناك نظام اجتماعي مثالي يمكن تطبيقه على كل الشعوب.

ـ الاهتمام بدراسة البناء الاجتماعي من الناحية المورفولوجية ومن الناحية الوظيفية ويتألف البناء الاجتماعي من ست طبقات ولكل منها واجباته ووظيفتها الاجتماعية.

ـ ابراز أهمية التوازن وكذلك التغير الديموغرافي فيرى ارسطو أن البناء يظل متوازنا بحكم التساند الطبقي، وممكن أن يختل هذا التوازن عن طريق التغير الديموغرافي، ومعنى هذا أن ارسطو يرى أن عدد السكان عندما يكون متوازن يضمن للمواطنين الرخاء المادي ويضمن الحكام التقدم الفكري لتكون الحكومة صالحة.

ومن العوامل التي تؤدي الى ضعف البناء الاجتماعي العامل البيئي الجغرافي فعندما تحول البيئة الجغرافية دون تحقيق الوحدة الاجتماعية والسياسية لسكان المدينة كان يفصل بين

[18] ـ نفس المرجع ، ص 19

أجزاء المدينة جبل او نهر فلا يتحقق التوافق التام بين الأنظمة الاجتماعية لكل أجزاء المدينة وبذلك يصعب الاحتفاظ بمقومات الوحدة.

ويعتبر فساد نظام الحكم من أهم عوامل القلق الاجتماعي ، وهناك في نظره عدة أشكال صالحة للحكم كحكومة الفرد الفاضل العادل وحكومة الصفوة الفاضلة العادلة ثم حكومة الجمهورية أو حكومة الطبقة الوسطى، فالمقابل ممكن ان تتعرض هذه الحكومات للفساد والطغيان فتصبح بما يسمى بالديموقراطية المزيفة.

وأخيرا نجد أن ارسطو يفسر ويحلل الثورات الاجتماعية التي كانت منشرة في اليونان في تلك المرحلة على أسس سياسية واقتصادية وسلالية وديموغرافية وبيئية.[19]

[19] - نفس المرجع السابق ص 22 .